المحاضرة الرابعة:النظرية العضوية

(أوجست كونت)

المدرسة الوضعية(العلمية) والنظرية العضوية	ســان سيمـــــون	النظرية العضوية اوجست كونت
- المقاربة الوضعية هي: منهجية تحليلية تقوم على استبعاد لأنماط الفكر والتحليل اللاهوتي (الديني) والميتافيزيقي(التجريدي=الطبيعة) من أي تحليل اجتماعي مقترحة بديلا عنهما الإنسان الذي بات يتمتع بقيمة مركزية في الكون. وقد كانت ممهّداتها مع المفكّر الفرنسي "سان سيمون" قبل أن تتّخذ طابعها المتكامل كنسق فكري مع تلميذه "أوجست كونت".	-يؤكد سان سيمون على استعمال أدوات المعرفة الوضعية والعمل على القضاء على الهوة الفاصلة بين البعد النظري والبعد التطبيقي للوصول إلى وحدة المعرفة، هذا هو جوهر وفكرة الوضعية. لذا نجد (سان سيمون) يصر على استبدال المضمون القديم للمسيحية بمضمون جديد يعمل على تطويرها من الداخل هذا المضمون الجديد يتمثل في كتابه " النظام الصناعي " من خلال : -التأكيد على سعيه إلى تكوين مجتمع حر . -التأكيد على نشر المبادئ والقيم التي ستكون أرضية النظام الجديد . العناصر الأساسية التي اعتمدتها المقاربة الوضعية مع "سان سيمون" هي: -تحييد الدين والفكر اللاهوتي عن كل مشاركة في الحياة العملية. -وضع أسس مشروع علمي وفكري ومعرفي يقوم على مبدأين أساسين هما : مبدأ العلمية ؛ فلا تعامل بعد الآن مع الظواهر والأشياء إلا من منظور علمي. مبدأ العلمنة وفيه تحييد صريح للدين . -هذه هي آليات التحليل العلمية التي ضمنها سان سيمون للمقاربة الوضعية وهي الآليات التي سنجدها مستعملة في نصوص "أوجست كونت" بطريقة أو بأخرى .	يعد النموذج العضوي في النظرية الاجتماعية أقدم أشكالها، وثمة ظروف اجتماعية واقتصادية وفكرية أدت إلى ظهور وإرساء قواعد هذا النمط في النظرية الاجتماعية. وإذا ما قبلنا الراي القائل بأن النظرية الاجتماعية تعبر عن ردة فعل مجموعة من الاكاديميين وأهل العلم للمشكلات الاجتماعية اليومية، فإننا نقول أن المبادئ الأساسية للنموذج العضوي دعا اليها جماعة من مفكري الطبقة العليا، درسوا فلسفة عصر التنوير، وآمنوا بها وتفاعلوا مع البيئة الاجتماعية وعاشوا أحداث الثورة السياسية الفرنسية والانهيار الاجتماعي والتطور الصناعي بأوروبا. -وقد استفاد هؤلاء المفكرون من الادعاءات التي طرحها أنصار النزعة الطبيعية والنزعة العقلية والتطورية الاجتماعية والإصلاح الاجتماعي والمنهج الوضعي، وقدموا رؤية جديدة للمجتمع تركز على حاجات المجتمع ونظمه، ويؤدي هذا المجتمع وظائفه وفق القوانين الطبيعية. كما يفسر هذا المجتمع باعتباره نسقا يتكون من أجزاء مترابطة ويؤدي كل منها وظيفة من خلال تقسيم العمل أو بناء الأدوار، وهذه الرؤية تشبّه المجتمع بالكائن العضوي الذي يؤدي كل عضو من أعضائه وظيفة محددة، كما صور المجتمع وكأنه جزء من النظام الطبيعي يتكور تلقائيا وفق حاجاته الأساسية. -وقد أعطى أنصار المدخل العضوي اهتماما أساسيا بالبناء الميكانيكي الآلي للكائن الاجتماعي(مثلما فعل كونت وسبنسر) أو الى النسق المعياري الذي يعتمد على تقسيم العمل (حسب رؤية دوركايم وتونيز) وفي كلتا الحالتين نظر علماء الاجتماع الرواد الى المجتمع باعتباره نظاما متكاملا يؤدي كل عضو من أعضائه وظيفة من أجل استمرار الكل. وأن هذه المجتمع لا ينفصل عن النظام الطبيعي وأن تقسيم العمل هو أساس وجود المجتمع. -ويعبِّر النموذج العضوي عن رؤية شمولية تكاملية لتفسير الحاجات الطبيعية للمجتمع باعتبارها حاجات دائمة . كما يحمل طابعا إيديولوجيا محافظا لتأكيده على أهمية توافق الفرد مع هذه الحاجات بدلا من السعي الى تغييرها أو التمرد عليها. -وستفهم هذه الرؤية بشكل افضل عند إلقاء الضوء على جهود أبرز مفكري ذلك العصر. درسوا التفكك الاجتماعي والفوضى السياسية والانهيار الاقتصادي، وتنزع النماذج الشمولية الى الظهور في مثل تلك الفترات وخاصة بين أعضاء الصفوة، ويرى هؤلاء المفكرون أن الوظيفة الأساسية لعلم الاجتماع في مثل هذا الموقف هي اكتشاف القوانين الأساسية للنظام الاجتماعي من أجل فهمه فهما أفضل، ومن أجل السيطرة على أحداث هذا المجتمع بكفاءة أجدر. -فالمدخل العضوي باعتباره أقدم المداخل في النظرية الاجتماعية، تبناه مفكرو الطبقة العليا وتوحد مع تعاليم فلسفة التنوير استجابة للتطورات السياسية والاقتصادية والاجتماعية التي سادت في عصرهم. وكانت النتيجة الأساسية لهذه العوامل ظهور نماذج في النظرية الاجتماعية تسعى الى التفسير الطبيعي والشمولي التكاملي للمجتمع. وقد انقسم انصار هذا التفسير الى اتجاهين أولهما يؤكد على الخصائص الآلية للمجتمع والثاني يؤكد على الخصائص المعيارية للمجتمع.

الظروف التي ادت الى نشأة النظرية الإجتماعية	أوجست كونت	الافتراضات الأساسية عند أوجست كونت:
تعتبر النظرية الاجتماعية استجابة للظروف التي طرأت على المجتمعات الأوربية وقد ظهرت في أواخر القرن(19م) وبداية القرن (20م) وذلك بعد الأحداث التي عصفت بالمجتمعات الأوربية في القرن الثامن عشر الميلادي وما قبله . ومن تلك الأحداث البارزة التالي: 1. الثورة الصناعية: التي ألقت الضوء على ظروف المعيشية وضرورة استخدام التكنولوجيا في المجال الزراعي لتحسين الظروف المعيشية. 2.الثورة الفرنسية : التي رفعت شعارات بالمساواة والعدالة الاجتماعية وعملت على إلغاء الملكية المطلقة، والامتيازات الإقطاعية للطبقة الارستقراطية، والنفوذ الديني الكاثوليكي. ويمكن القول بأن المشكلات الاقتصادية والسياسية احتلت المقدمة في ظهور النظرية الاجتماعية الحديثة، وذلك للتأكيد على أهمية فهم المجتمع كوحدة للتحليل في ذاتها من أجل مصلحة المجتمع. 3.الثورة الدينية: التي خرجت على الكنيسة ورجال الدين الذين مارسوا القهر والتسلط الفكري وأقاموا محاكم التفتيش لإعدام كل من يخرج من المفكرين والعلماء على أفكار الكنيسة وتفسيرات رجال الدين للكون والحياة. 4.الثورة الفكرية: تأثرت النظرية الاجتماعية ببعض الأفكار مثل: •فلسفة عصر التنوير: تلك الفلسفة التي قامت بالدفاع عن العقلانية ومبادئها كوسائل لتأسيس النظام الشرعي للأخلاق والمعرفة بدلا عن الدين ومن هنا نجد أن ذلك العصر هو بداية ظهور الأفكار المتعلقة بتطبيق العلمانية والمنهج العلمي عند دراسة المجتمع، والتطور والتحديث وترك التقاليد الدينية والثقافية القديمة "نقد"والأفكار اللاعقلانية ضمن فترة زمنية دعوها "بالعصور المظلمة". •النزعة التطورية"دارون" والتي سيطرت على تفكير كثير من علماء الاجتماع الأوائل ، الذين كانوا يتصورون أن الإنسان والمجتمع يتقدمان عبر خطوات محددة للتطور تنتهي إلى أعقد المراحل وأكملها. •كما تأثرت النظرية الاجتماعية في نشأتها بالنزعة الطبيعية العضوية والعقلانية والفلسفة البراجماتية. - يعتبر (أوجست كونت وسبنسر) أفضل مثالين لهذا النمط من النظرية الاجتماعية. لذا من الضروري أن نعرض للظروف الاجتماعية والسياسية التي عاشها كل منهما.	-وُلِد في فرنسا وهو ابن عائلة كاثوليكية تؤمن بالنظام الملكي، ودرس الطب وعلم وظائف الأعضاء في معهد البولو تكنيك، ثم القى دروس في الفلسفة الوضعية في مرحلة متأخرة، كما وضع قواعد المنهج الذي يقوم عليه المجتمع الوضعي، تعلم في بداية حياته مبادئ وأفكار التنوير، وعاش الثورة الصناعية والصراع المتزايد بين الدين والعلم. وكانت أهم أعماله الأساسية دروس في الفلسفة الوضعية. وترجع شهرة كونت الى كونه أول من صاغ مصطلح " علم الاجتماع" Sociologyبالغات الأوربية. -يعتبر كونت مثالا واضحا للتفسير الآلي في النظرية العضوية في علم الاجتماع. وبتأثير المناخ الفكري في فرنسا في بداية القرن(19م)والظروف السياسية والاقتصادية والاجتماعية حينئذ، قدّم نموذجا محافظا متأثرا بالنزعة الطبيعية عن الحقيقة الاجتماعية يقوم على افتراضات طبيعية وحتمية عن الظواهر الاجتماعية. -وقد أثرت أوضاع وظروف البيئة الاجتماعية التي عاشها كوت في تحديده لمهمة علم الاجتماع. إذ يرى كونت أن الهدف الأساسي لعلم الاجتماع هو رفض التفسير الثوري للمجتمع الحديث(إذ يرى كونت أن الثورة ليست وسيلة لبناء المجتمع، بل انهيار خُلُقي) ولذا اهتم كونت بكيفية إعادة تنظيم المجتمع بالاستفادة من الفلسفة الوضعية. -ولما كان أوجست كونت يرى بأن الأساس الذي يقوم عليه المجتمع هو: مجموعة من الأفكار الأساسية السائدة في هذا المجتمع، فإن وظيفة علم الاجتماع عنده هي الاهتمام بترسيخ هذه الأفكار التي تدعم النظام الأخلاقي. -وترتب على ذلك محاولة كونت اكتشاف شكل" للفيزياء الاجتماعية" يستطيع أن يرسي بها القوانين الاجتماعية ويعيد التنظيم والنظام الاجتماعي للمجتمع وفقا لنسق من القيم الذي أعطاه كونت قيمة كبرى، ورأى أنه النسق الأكثر تمشيا مع الطبيعة ولذا يمكن القول بأن كونت حاول تطبيق مبادئ فلسفة عصر التنوير على مشكلات الثورة في عصره. وقدّم لنا نظرية عن التطور الاجتماعي أوضحت الأهمية الأساسية للعقل والقيم الاجتماعية المهيمنة. -ومن ثم نرى أن كونت كان يأمل من علم الاجتماع- ذلك العلم الجديد- إعادة إرساء نظام أخلاقي جديد يقضي على ما هو سائد حوله من مظاهر الفوضى الاجتماعية.	يمكن تلخيص الافتراضات الأساسية لعلم الاجتماع عند كونت على النحو التالي: 1-يرى (أوجست كونت) أن ثمة مجموعة من القوانين الطبيعية اللآمرئية - الخفية – تنظم الكون، وتقف وراء تطور ونمو العقل أو المعرفة أو القيم الاجتماعية السائدة. 2-أدرك كونت أن عملية التطور تتحقق في ثلاثة أطوار كبرى- قانون المراحل الثلاث -: المرحلة الغيبية: التي تتميز بتقصي الأسباب الغيبية خلال قوى خارقة للطبيعة. المرحلة الميتافيزيقية: وتتميز بالفكر المجرد والبحث عن العلل المجردة. المرحلة الوضعية(العلمية): وتتميز بنمو المعرفة النسبية، ودراسة القوانين التي تحكم الظواهر. وفي تلك المرحلة يسمح المنهج الوضعي لعالِم الاجتماع اكتشاف وفهم القوانين الطبيعية التي تحكم الظواهر الاجتماعية. وهذا يؤدي به الى اكتشاف وفهم القوانين الطبيعية التي تحكم الظواهر الاجتماعية. وهذا بدوره يؤدي به الى اكتشاف وحدةً فكرية ونظاماً أخلاقيا يوحِّد بين التقدم والنظام مقابل مواقف الفوضى السائدة، ومن ثَمَّ يصبح علم الاجتماع علما متكاملا موحدا يعتمد على المنهج الوضعي (العلمي) ويساهم مباسرة في تطور النظام الأخلاقي الطبيعي. 3-وتبعا لذلك، رأى كونت أن جميع جوانب المعرفة هي جوانب اجتماعية بقدر ما تعكس وتمثل هذه المعرفة البيئة الاجتماعية التي تظهر فيها، وكل طور من أطوار المعرفة

يتبع - الافتراضات الأساسية عند أوجست كونت	المنهـج	نمط المجتمع
يرتبط بمرحلة معينة من مراحل التطور الثلاث، ويعبر عن بيئة اجتماعية لها ملامحها المتميزة. **4-قسم كونت النسق الاجتماعي(المجتمع) الى جزئين أساسيين:** **1- الاستاتيكا الاجتماعية: ويتكون من الطبيعة الاجتماعية الإنسانية وقوانين الوجود الاجتماعي للإنسان.** **2- الديناميكا الاجتماعية: أو قوانين التطور التغير الاجتماعي** **5-يتضمن النسق الاجتماعي ثلاثة أنماط أساسية كبرى من الغرائز:** *** غرائز المحافظة على النوع(الغريزة الجنسية والحاجات المادية).** *** غرائز تحسين الأوضاع(العسكرية والتصنيع).** *** الغرائز الاجتماعية : (الترابط والاحترام والحب الشامل).وتقع وسطا بين غرائز المحافظة والتقدم وغرائز الغرور والتفاخر ويبدو التقدم الاجتماعي واضحا في سيطرة الغرائز الاجتماعية – على غرائز المحافظة على النوع وغرائز تحسين الأوضاع- كما أن التفاعل بين العناصر للاهوتية والعناصر العسكرية ينجم عنها التحول الى الطريقة الوضعية في التفكير. وقد ساعد على هذا التطور ظهور مشكلات إنسانية أو الإخفاق المستمر للإنسان والإحباطات الإنسانية أثناء تقدم النسق الحتمي خلال المراحل الثلاث للتطور الفكري.** **- وثمّة عوامل أخرى ساهمت على التقدم، منها الضيق والضجر أو الملل السائد بين المواطنين، إذ أفضى الضيق والملل الى بذ الجهود نحو التجديد. أيضا يساهم متوسط الأعمار السائد ومعدل نمو السكان ومعدل التطور الفكري في المجتمع ككل في إحداث التقدم. فكل هذه العوامل تساهم في تطور الغرائز من الشكل البدائي الى مرحلة أرقى أثناء تتابع عملية التمدُّن والتحضّر.** **6- أخيراً افتراض كونت نوعا من اليوتوبيا (الخيال) السوسيولوجي، عندما افترض في نهاية التطور الاجتماعي إمكانية سيطرة الوضعية على النظام الاجتماعي باعتبارها دين الإنسانية، وهذا الافتراض يصور المجتمع في المرحلة الوضعية المتطرفة، التي تحقق فيها الوحدة الحيوية بين العقل والنظام الاجتماعي، ويأخذ كل جزء من أجزاء البناء الاجتماعي طابعا وضعيا في تلك المرحلة. وعند هذه النقطة بدأ كونت في مناقشة المساهمة التي تقدمها أنظمة التعليم والتربية والفن في تحقيق التطور نحو الحب والخير استنادا على مبادئ الفلسفة الوضعية.** **-وموجز القول أن كونت رأى 1- الكون نظاما تحكمه قوانين طبيعية.2- وان هذه القوانين تظهر بصورة جلية في المجتمع في شكل العلاقات المتبادلة بين الغرائز الإنسانية والفكر أو القيم الاجتماعية السائدة، وذلك في سياق بناء المجتمع الاستاتيكي والديناميكي.3- يتطور النسق الاجتماعي(المجتمع)في مجموعة من خلال ثلاث أطوار من تطور الفكر نحو المرحلة الوضعية وهي المحلة المتكاملة أخلاقيا. 4- مهمة علم الاجتماع بصفته علما وضعيا هي دراسة هذا النسق ووصفه وصفا تفصيليا يساهم في إيجاد الحل العلمي للمشكلات الاجتماعية.**	- وتبعا لرؤية كونت فإن المنهج الوضعي(العلمي) يقود الى ظهور الحقيقة العضوية أو الحقيقة الأساسية، وهذا يعني ضرورة الاستفادة من إجراءات الملاحظة والتجربة والمقارنة لفهم تفاصيل الاستاتيكا الاجتماعية والديناميكا الاجتماعية، ويسمح هذا المنهج بتجريد القوانين الاجتماعية نتيجة التجريب المباشر واللامباشر وتفاصيل التطور العام للمجتمع ووفق هذه الطريقة رأى كونت الوضعية منهجا يقود الى إيضاح أبين لنموذجه النظرية الذي يقوم على افتراضات ذات نزعة طبيعية وعضوية.	**قسم كونت نموذجه لدراسة المجتمع الى جزئين أساسيين : هما: الاستاتيكا الاجتماعية والديناميكا الاجتماعية اللتان تصوران البناء التنظيمي للمجتمع ومبادئ التغير الاجتماعي لهذا المجتمع. فالاستاتيكا تشمل الطبيعة الاجتماعية (الدين والفن والأسرة والملكية والتنظيم الاجتماعي) والطبيعة البشرية(الغرائز والعواطف والفعل والذكاء)، بينما تشمل الديناميكا الاجتماعية قوانين التغير الاجتماعي والعوامل المرتبطة به(مستوى الضجر والملل وطريقة الحياة ونمو السكان ومستوى التطور الاجتماعي والفكري). ورأى كونت أن هذا البناء ككل يتقدم خلال مراحل ثلاث نحو المرحلة الوضعية.**

القضايا الأساسيه

1)أثار مدخل كونت قضية مؤداها الى أي مدى تعد أهداف علم الاجتماع نظرية أو عملية تطبيقية، أو أن أهداف علم الاجتماع تجمع بين التنظير والتطبيق خاصة خلال السياق الإمبيريقي المعاصر.

2)أثارت افتراضات كونت الأساسية قضايا هامة عن التفسيرات الطبيعية(أي مدى ملائمة الغرائز) والنماذج الحتمية لتفسير التطور الاجتماعي، وتصورات المجتمع في اطار نسق القيم السائدة أو رؤية الحقيقة وتقسيم المجتمع الى الاستاتيكا والديناميكا ، وهما مفهومان مهّدا لظهور مفهومي البناء والعملية.

3)يمثل منهجه الوضعي الأساس الأول والرائد للمنهج العلمي المعاصر.

4) يحدد نموذجه في تقسيم المجتمع الى استاتيكا وديناميكا اجتماعية العمليات والعناصر الأساسية داخل النسق وبذلك يكون فكر كونت رائدا لأعمال لاحقة لمنظري البنائية الوظيفية ومدخل الصراع.

- ويتبين من عرض أفكار كونت أنه قدم نموذجا طبيعيا للنظام الاجتماعي هو نسق اجتماعي يعمل بطريقة ديناميكية من أجل التقدم الى أطوار معينة محددة مسبقا، وتقدم هذه النظرية الطبيعية التطورية الأساس الذي تقوم عليه النظرية الاجتماعية العلمية كما سنرى لاحقا، وينبغي أن ينظر إليها باعتبارها قاعدة أساسية للنموذج الاجتماعي العلمي للحقيقة الاجتماعية . كما أن آراء كونت ليست بسيطة بل تمثل القاعدة التي قام عليها كل من علم الاجتماع والنظرية الاجتماعية، بحيث تضمن عناصر أساسية بقيت صالحة وملائمة مع موضوعات العلم الاجتماعي المعاصر.